إضاءة

الفنان المحرّر، سواء كان روائياً او تشكيلياً او شاعراً او موسيقياً، ظاهرة عرفتها كل الثقافات على وجه الارض منذ عصر الرسم والتلوين على جدران الكهوف، حين كان الرسام يحرّر البدائيين من خوفهم من مواجهة الوحوش، وحتى العصر الراهن بتقاناته المتنوعة

محمد الأسعد

صاحبَ ذكرى استشهاد غسان كنفاني الثامنة والأربعين في هذا العام. وفي هذا الشهر تحديداً من عام 1972، اهتمامٌ واسع رأى فيه بعضٌ ممن كتب اهتماماً غير عادي، وحاول الجميع تفسير بقاء اعماله وذكراه حاضرة. فمنهم من قال إن السبب يكمن في كونه «رائداً»، ومنهم من أرجع الأمر إلى «عبقرية» أدبية لا علمية، وبعضهم أرجع الأمر إلى ما أطلق عليها «أصالته»، بينما انصرف آخرون، سواء من كتب منهم في صحيفة او خطب في تجمّع، إلى إعلام القرّاء والمستمعين بأنهم سبق أن التقوا بغسّان وسمعوا منه رأياً في هذه القضية أو تلك. وفي كل هذه المراجعات على وجه التقريب، لم يقترب أحد من أكثر خصائص ادب غسان الإبداعي أهمية، الا وهي فعالية كتابته التي هي في حالته الفلسطينية فعالية محرّرة لمختلّة الإنسان ووعيه من شتى أنواع المستعمرات التي تتوازى عادة مع، أو تسبق، إقامة المستعمرات على الأرض.

الفنان المحرّر، سواء كان روائياً أو تشكيلياً او شاعراً او موسيقياً، ظاهرة عرفتها كل الثقافات على وجه الأرض منذ عصر الرسم والتلوين على جدران الكهوف، حين كان الرسام يحرّر البدائيين من خوفهم من مواجهة الوحوش، وحتى العصر الراهن بتقاناته المتنوعة تنوعاً هائلاً. ولم تفتقر الثقافة العربية إلى نماذج معبّرة عن هذه الظاهرة في شتى المجالات الفنية والفكرية، ظاهرة الكاتب أو الفنان الذي يوقظ الجمهور من غيبوبة يوقعه بها سياسيٌ مشعوذ أو محتطبُ أفكار بليد، أي يحرّره من الخرافة أوالقوالب الذهنية التقليدية، او الصور الوهمية الشبيهة بالخيالات التي يراها سجناء كهف على جداره، فيتصرّفون ويعيشون ويتحدثون عنها كما لو أنها الواقع القائم خارج كهفهم.

ولدينا في هذا المجال دائرة تتسع لأسماء عديدة، اكثرها شهرة في زمننا الراهن ناجي العلي الذي ضحى بحياته في سبيل أن يبقى شعبه مفتوح العينين على اتساعهما حتى لا يسقط في حبائل منتحلي القاب أبطال وساسة وقادة وزعماء. وهناك أيضاً علماء ومفكرون ممّن يمنحهم بعضهم لقب المنوّرين، بينما هم جديرون بلقب المحرّرين الأكثر دقة واتساقاً مع مهمات الإنسان العربي في الزمن الراهن، شأنهم في ذلك شأن المقاتلين في ساحات المعارك، لا بصفتهم فقط حاملي شهادات علمية أو عباقرة وما إلى ذلك.

السؤال، لماذا الاهتمام غير العادي بغسان في ذكراه، مشروعٌ ومبرّر تماماً، ولكن بدت لنا الأجوبة التي اطلعنا عليها وسمعناها، في حالة غسّان بالذات وجهده الأدبي والفكري، تغميساً خارج الصحن. لأن إغفال مغزى منجزه الحقيقي، أي مكمن سحر رواياته، اعني كونه منجزاً يحرّر وعي القارئ، وهي مهمةٌ جليلة تحتاج إلى وعي بجلّها ويتابع مسارها في الحياة الواقعية لشعب ضلّلوه واخذوه إلى شعاب شتى، بدلاً من التغني بما يسمى «العبقرية» و«الريادة» و«الأصالة»، والغرق في ما أطلق عليه حتى فيلسوف نفعي مثل الأميركي جون ديوي «التصوّر الانعزالي للفن».

الأكاديمي إحسان عباس لديه لفتة نادرة، ربما هي اللفتة الوحيدة إلى هذه الخاصية المحرّرة، في الثقافة العربية والفلسطينية منها بخاصة، إلى أدب غسّان، حين كتب في تقديمه للجزء الأول من أعمال غسان الكاملة (1972) عن قصته الشهيرة «رجال في الشمس»: «لو أننا اتخذنا شخصية أبو الخيزران مدخلاً لفهم هذه القصة لما تعذّر علينا أن نرى فيها رمزاً للقيادة الفلسطينية في بعض الظروف التي مرت بها القضية، وهي تؤدي دوراً «قاتلاً» مغرّراً خادعاً ومخدوعاً قائماً على المداورة والمراوغة والكذب، كأنها في ذلك شأن «المهرّبين الآخرين» ممثلي القيادات العربية الأخرى».

وهنالك لفتة أخرى من الشاعر محمود درويش تقترب من معنى «فعل الكتابة» المحرّرة لدى كنفاني، إلا أنه أشار إلى بحوث غسان الأدبية وتجاهل قصصه ورواياته.

غرافيتي لغسان كنفاني في «مخيّم الدهيشة»، بيت لحم

كيف نستعيده في كل تموز؟

غسان كنفاني الكاتب محرّراً

جاء في هذه اللفتة: «لعل المسعى الأهم لبحوث كنفاني الأدبية هو ذلك المتمثل في ترسيخ أسس ولادة الفلسطيني الجديد لجهة النأي عن الفلسطيني المجرّد، والاقتراب من الفلسطيني الذي يعي أسباب نكبته، ويدرك أحوال العالم العربي ويعرف ماهية الصهيوني الذي يواجهه».

وتماثل هذا الكلام لفتاتُ أقصى ما أدركه كتّابها من فنّ غسّان الروائي، وهو أنه «تناول مواضيع النضال والتحرر الفلسطيني»، مغفلين أنه لم يكن يتناول «مواضيع» شأنه شأن أي كاتب، بقدر ما كان فعل الكتابة لديه مساهمة في تحرير الوعي، مثلما هي مساهمة «المحارب»، الذي ابتكر الفلسطينيون له تسمية «الفدائي»، في تحرير الأرض.

صحيح أن هناك مجالاً في منجز غسّان الروائي والقصصي يسمح بتناول جوانب أخرى غير هذا الجانب الذي يتعلق تحديداً بتحرير وعي الإنسان الفلسطيني في وقت لم تكن قد بدأت فيه بوضوح زراعة المستعمرات الصهيونية في دماغه بذرائع مضلّلة مثل «السلام» و«الدولة على حدود 1967» و«يا وحدنا»... إلخ، إلا أن هذه الجوانب، المهارات التقانية والمخيلة الخصبة والريادة والأصالة والتفرد... وما إلى ذلك، لم تكن لدى غسان منعزلة عن جسم عمله الروائي وغايته التي يسعى إليها بحسبان أن كتابة كتّاب، كما قال أحدهم، تعني القيام برحلة قد لا تكون نهايتها كما كان التوقع في بدايتها، إلا أنها سعي إلى غاية كما هو سعي القارئ أيضاً.

ولنأخذ مثلاً رواية «ما تبقى لكم» (1966). في هذه الرواية نجده يستخدم تقانة ما يسمى «تيار الوعي»، ويتنقل بين الأمكنة والأزمنة، ويبتعد عن أسلوب السرد التقليدي المتسلسل، لأنه يعي ربما أن الإلمام بواقع التشظي في تجربة الإنسان الفلسطيني يقتضي هذه المراوحة بين الأمكنة والأزمنة، ولكنه وهو يكتب بهذه الطريقة لا يحوّل اللغة إلى «رغوة» (ألفاظ دالة بلا مدلول)، ولا يلجأ إلى اختراع عوالم خرافية مما نعهده في قصص الخوارق والأساطير، بل يُبقي قارئه في العالم المألوف، إلا أنه عالم يكتسب دلالة جديدة تجعله أعمق مما نألف، عالم واقعي يذكّر بما كتبه الفرنسي روجيه غارودي في أطروحته المبهرة «واقعية بلا شاطئ» (1965) المترجمة إلى العربية تحت عنوان «واقعية بلا ضفاف».

> شهد هذا العام اهتماماً خاصاً بذكرى استشهاد كنفاني وادبه
>
> كتابة تحرّر مخيلة الإنسان ووعيه من شتى انواع الاستعمار

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

إعادة قراءة شاملة

من خلال مدوّنة غسّان كنفاني، يمكن ان نعيد قراءة مجمل ادبنا ومختلف انواع المعارف في زمننا الراهن من منظور مفهوم الادب المحرّر، فيكون بذلك تخصيبا للنقد الثقافي لدينا، وهو امر ممكن وضروري. فبالاضافة الى انه يلفت الانظار الى خاصية ثقافية تكاد تكون مطمورة، ان لم تكن سجينة تقاليد كتابية خارج الزمن، سيلير الرعدة في اوصال اكثر من جنرال من جنرالات هذه التقاليد واولياء امورهم.

يوميات

من الجبل إلى السهل

والعكس صحيح

لم أتصالح يوماً مع مدينة كبيرة مثل دلهي، ولم أتمكّن أيضاً من الحفاظ على هويّة مسقط رأسي. كان وضعي أشبه بوضع اللاجئ

هانغاليش ديراك

من أكبر المفاجآت في حياتي أنني تمكّنتُ من كتابة الشعر، وأنني قادرٌ على أن أطلق على نفسي لقب الشّاعر. تدهشُني حتى اليوم حقيقة أنني اكتبُ الشّعر. يمازحُني والدي قائلاً: «لقد أحسنتَ بكتابة الشّعر والاهتمام بالأدب، فلولا هذا لما نجحتَ في شيء». لا أذكر عنوان أول قصيدة كتبتُها، ولا بد أنها كانت قصيدة طفولية. القصائد فانيةٌ مثل البشر، ولا أؤمن بخلودها أبداً. تموتُ القصائد بمرور الزمن وتهجُرُ كاتبَها لتعيش حياتَها المستقلّة. يقول أحد شعرائنا الكبار، راغوفير ساهاي، إن الشعر يموتُ لحظة ولادته. أميلُ غالباً إلى نسيان قصائدي، وعندما يذكّرني أحدهم بقصيدة ما، أقولُ لنفسي: هل كتبتُ هذه القصيدة فعلاً؟

ولدتُ في قرية جبلية نائية في أوتاراخاند، حيث كانت الصباحاتُ مشرقةً والغيومُ كثيفةً والليالي أشدُّ حلكةً من حياتي اليوم. كانت النجوم الساطعة في سماء الليل الصافية لامعةً وقريبةً للغاية حتى نكاد نلمسُها بأيدينا. خلبت هذه النجوم لبّي بكل معنى الكلمة.

كان والدي طبيب أيورفيدا وباحثاً في اللغة السنسكريتية، وكتبَ قصائدَ باللهجة المحلّية، ونظّم المسرحيات البازيسيّة في قريتي، وغنّى وعزف على آلة الهارمونيوم. كان جدّي باحثاً في الأيورفيدا والسنسكريتية أيضاً وجامعاً للمصطلحات الشعرية والعبارات التي يستخدمها عامة الناس. وهكذا الهمْتُني الطبيعة الخلّابةُ والشعرُ المحلّي المشيّ على خُطى أبائي. بدأتُ بكتابة قصائد غنائية، وفي تقليد دالة بلا مدلول)، ولا يلجأ إلى اختراع عوالم خرافية مما نعهده في قصص الخوارق والأساطير، بل يُبقي قارئه في العالم المألوف، إلا أنه عالم يكتسب دلالة جديدة تجعله أعمق مما نألف، عالم واقعي يذكّر بما كتبه الفرنسي روجيه غارودي في أطروحته المبهرة «واقعية بلا شاطئ» (1965) المترجمة إلى العربية تحت عنوان «واقعية بلا ضفاف».

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أستريحُ فيه. شعرتُ في فترة ما أنني فشلتُ في الانتماء إلى أي مكان. لم أتصالح يوماً مع مدينة كبيرة مثل دلهي، ولم أتمكّن أيضاً من الحفاظ على هويّة مسقط رأسي. كان وضعي أشبه بوضع اللاجئ، كما لو كنتُ شخصاً مشرّداً غير قابل للاستقرار. لذا يبدو أن هناك نوعا من التوتّر بين ذكرياتي القديمة وخبراتي وتجاربي الحضرية.

كتب الشاعر والمسرحي الألماني برتولد بريخت أن «معاناة الجبال من ورائنا والآم السهول من أمامنا». أعتقدُ أنني أعيشُ هذه الحالة أيضاً. ربما وُلدتُ قصائدي في هذا الفراغ المتوتّر بين الجبال والمشاهد الحضرية في المدينة. تُعدّ المدنُ مساحاتٍ مغرية رائعة لطالما ولّدتْ ثقافاتٍ متنوّعة. تمنحُنا شوارع المدينة الواسعة والمُضاءة مشاهدَ جديدةً ومبتكرة، بينما تتهادى شوارع القرية بتكاسل وهدوء في جنباتها. لذلك كانت علاقتي غريبة بكل منهما، حيث أعيش دوماً في ذلك البرزخ ما بين القرية والمدينة. ربما أنتمي إلى ذلك الفراغ، وتلك الأرض المحرّمة فيما بينهما. أردتُ يوماً أن أكون مغنياً كلاسيكياً مثل والدي، أو ربما أفضل منه، ولكنني فشلتُ في مسيرتي الفنية بسبب حياتي الحافلة بالأحداث كصحافي. ولا زلتُ أشعر بالأسى حتى اليوم بسبب ذلك.

ينبغي على المرء أن يهتم بالسياسة، سواء ككاتب أو كمواطن أو كإنسان، فلا أخطر على البلاد من ترك مصيرها في أيدي السياسيين

أيدي السياسيين الذين قد يدمّرونها. لذلك، لا يمكننا نظراً للوضع السياسي الحرج الذي نعيشه أن نغضّ الطّرف عن المسار الاجتماعي والسياسي للأحداث والمصير البشري. لقد أثّرتْ عليّ الأحداثُ السياسيّة في بلدي تأثيراً كبيراً: من الحركة اليسارية، إلى ثورة الفلاحين في 1967، إلى حالة الطوارئ وعمليات التهجير وتدمير مسجد بابري في أيوديا، ومحنة الفقر ومأساة الأقليات وأقليات الداليت والأديفاسي المسيحية، وهذا الجو الحالي بالطبع من الطائفية المتزايدة والتعصّب والخوف والعنف.

(شاعر هندي من مواليد 1948.
ترجمة: عماد الأحمد)

هانغاليش ديراك

إطلالة

كورونا اسم ينقصه التهديد ومشتقات الخوف

موجة ثانية أقل رعباً

على عكس مفردات مثل سارس وجمرة خبيثة وسرطان، يبدو اسم كورونا مثل اسم لعبة أطفال، تمسكها بين يديك ثم تلقيها بكل اللامبالاة

أمير داود

لم تكد البشرية تستفيق من وقع صفعة الموجة الأولى من الفيروس سيّئ الصيت والذكر، حتى بات يتردّد في كل مكان خبر الموجة الثانية منه، بضراوة أشدّ من حيث أعداد الوفيات، وبخفّة أكبر في التسلّل من حيث أعداد المصابين. وإذا اكتُشف الموجة الأولى الكثيرُ من الخوف والغموض وانعدام القدرة على التنبّؤ، فإنّ الثانية جاءت منزوعة دسم الخوف والهلع، بجاهزية نفسية ساهمت الموجة الأولى في إحداث التهيئة لها.

كسر الناس قشرة بيضة الخوف، بالأخبار المكثّفة وبالتجارب الكثيرة حولها، يرافق ذلك كلّه رغبة دول كثيرة - من باب مكره أخوك لا بطل - في رفع القيود وتسهيل حياة الناس، استبدلت فيها الدول، إياها، شعارات «ابق في البيت» وأخواتها التي سمعناها طويلاً حتى باتت تلازمنا في الأحلام واليقظة، بشعارات جديدة تنسف المسحة الأمومية الأولى التي تخاف على أطفالها الصغار وتدفعهم إلى البقاء في المنزل تحت الانظار... شعارات تؤسّس لأمومة جديدة، أكثر صلابة وأقلّ حنواً وحرصاً، إنها أمومة تدفع أطفالها الصغار/ المواطنين للركض إلى غابة الخوف والموت، لكن بتعليمات جديدة هذه المرّة، على شاكلة «كن حذراً» و«اتبع التعليمات» و«احم نفسك».

يبدو سؤال توازن الاقتصاد والصحّة، سؤالاً أخلاقياً بحتاً تتردّد أصداؤه في كل مكان هذه الأيام، لا الدولة، في بعديها الوظيفي والرمزي قادرة على تحمل تكلفة الإغلاق الشامل تماماً من أجل وقف الفيروس وإحداث ما بات يُطلَق عليه بتسطيح منحنى العدوى، برسم الاقتصاد والمال، ولا هي قادرة على فتح كل شيء أمام الناس، والتسليم في المحصّلة بطغيان حضور الفيروس والاستسلام لمآلات نتائجه ومناعة قطيعه.

> كُسرت قشرة بيضة الخوف بالأخبار المكثّفة والتجارب الكثيرة

يتمثّل طغيان الحضور هذا في تسجيل أكثر من 12 مليون حالة مصابة بالفيروس في العالم هذه الأيام. وهي الحالات التي رُصدت فقط. لكن التصوّر بين الأطباء ومنظمات صحية فاعلة، أن مئات الملايين في العالم مصابون، لكن لم يُفحصوا أو لم تظهر عليهم الأعراض. إلى جانب شكوك حقيقية في قدرة الدول على وقف الفيروس. الفيروس إما أن يتوقّف بسبب عامل مناخي، ارتفاع درجات الحرارة مثلاً، وهذا ما تدحضه موجة هذه الأيام، أو لا يتوقّف بالمرّة. وبالتالي تتمدّد الجائحة، لتصيب معظم سكان الكرة الأرضية، ونصل إلى حالة مناعة القطيع، وهي حالة لا تطلب إذناً أو موافقة من أحد بالمناسبة، أي مسألة وقت لا أكثر. (الناس تتحسّس من مفردة قطيع، لاعتبارات تقدير الذات والخسائر البشرية المحتملة كنتيجة)، وهذا ما حدث مع معظم الفيروسات السابقة، وتحديداً الإنفلونزا. ثمة شكوك تطلّ برأسها في كل مكان، في قدرة دول العالم الآن على إحداث حالة تسطيح المنحنى والوصول إلى السيطرة المطلقة على الحالة، إذ لا مؤشّرات على إحداث ذلك، وفق خبراء، ولا أدوات فعّالة في المتناول، في القريب المنظور على أقل تقدير.

(كاتب من فلسطين)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

سامي بن عامر، من سلسلة «لمسة ممبتة»، 2020

شذرات

قبل خمسين عاماً كنا نعرف مرضاً واحداً وهو الجهل والامية، وهو مرض امكن علاجه، غير ان هذا العلاج افرز معه مرضاً جديداً مستعصياً هو التعالم او الخرْفية في التعلّم.

مالك بن نبي ـ «شروط النهضة»

قبل عيد الميلاد الثامن عشر بيوم نحن اطفال، وبعد يوم واحد نصير كبارا. ما معنى ان نصير كبارا؟ كانت الكلمة تبدو له وكانها تحمل رائحة التعب، تحمل ايضا في ذهنه روائح اخرى؛ السلطة، الاحترام، الانحلال، وانتظار تحقيق رهانات لا تنتهي، وقبل كل شيء كانت تعني تجربة مشاعر الإحساس بالوحدة.

آران كيم (كاتبة من كوريا الجنوبية) ـ من رواية «حياتي المتقلّبة»

بفضل الطبيعة اللغوية لكل تفسير يتحوّل هذا الاخير إلى خطاب وبالتالي ينطوي على إمكان نشوء علاقةٍ مع الآخرين، فما من قولٍ او حديثٍ إلا وهو يربط بين المخاطِب والمخاطَب.

هانز جورج غادامير ـ «الحقيقة والمنهج»

وُلدتُ في اسرة شكسبيرية. بين اب يجالس الملكَ لقرابة اربعين عاما واخ مغضوب عليه يقبع في زنزانة جنوب البلاد. علينا ان نتخيّل قصرا ملكيا، مرعبا وفاتنا في آن، حيث إن المقرّب للملك يمكن ان يصبح مغضوبا عليه دون سبب.

ماحي بينبين ـ من الرواية السير-ذاتية «مهرّج الملك»